دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تأثير الهوية الثقافية على الهوية العمرانية والمعمارية للعمارة الجزائرية
المصدر:	مجلة ريحان للنشر العلمي
الناشر:	مركز فكر للدراسات والتطوير
المؤلف الرئيسي:	سمية، بن زادة
مؤلفين آخرين:	نزيهة، بن بشير(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع10
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	مايو
الصفحات:	192 - 205
رقم MD:	1141328
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	الهوية الثقافية، التراث المعماري، التخطيط العمراني، الجزائر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1141328

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد العاشر : ص ص 192-205 ISSN:2709-2097
05/05/2021

تأثير الهوية الثقافية على الهوية العمرانية والمعمارية للعمارة الجزائرية

The influence of cultural identity on the urban and architectural identity of Algerian architecture

بن زادة سمية[1]، طالبة دكتوراه، مختبر الجماليات البصرية الفنية في الجزائر، قسم الفنون البصرية، جامعة مستغانم، الجزائر.

الايميل somia.benzada@univ-mosta.dz

الدكتورة بن بشير نزيهة[2]، جامعة مستغانم، الجزائر.

الايميل naziha.benbachir@univ-mosta.dz

الملخص:

الهوية الثقافية تشمل جوانب كثيرة وعديدة تحكم المجتمع وتسيره، كما أنها تميزه عن غيره من المجتمعات والأمم. إن المجتمع الجزائري فيما مضى كان جد متمسك بالثوابت التي بنيت عليها هويته، من دين ولغة وعادات اجتماعية وثقافية، فانعكست هذه الهوية على النمط المعماري، الذي شيدت به المنازل والمدن. وقد أكسبتها هوية معمارية مميزة لبت كل احتياجات هذا المجتمع المادية، والروحية، وكان ذلك جد واضح في مباني) واد مزاب، تيهرت، الأوراس، وبشار، القصبة العتيقة، قصور القنادسة..(كل هذه المناطق وغيرها كثير، شهدت هندسة معمارية وأنماط عمرانية متنوعة، ترجمت النضوج الفكري والثقافي للمجتمع آنذاك . فكان المسكن يترجم الهوية الثقافية للقاطن به، كما كان الحال بالنسبة للمدينة أيضا. فالمدن العتيقة هي الأخرى ترجمت ثقافة وقيم المجتمع وكانت إنسانية حيث اهتمت ببناء الإنسان واحترام فكره. أما الخطاب المعماري الجزائري المعاصر غير واضح المعالم والاتجاهات، فهو بشكل عام مشوش ومشوه. وهذا ما يجعل أيضا قاطني المدن يشعرون بحالة من اللا انتماء لهذه العمارة نتيجة لغياب هوية معمارية وعمرانية محددة بعوامل محلية، تعكس هوية سكانها خاصة فئة الشباب. وبما أن الهوية المعمارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بهوية المتلقي للخطاب المعماري، فعندما يصبح المتلقي بلا هوية سوف تصبح العمارة بلا هوية، والعكس صحيح.

الكلمات المفتاحية: الهوية –الهوية الثقافية–الهوية المعمارية –التنوع الثقافي.

Résumé :

L'identité culturelle comprend de nombreux aspects qui régissent la société et son cours, ainsi que la distinguent des autres sociétés et nations. La société algérienne dans le passé était très attachée aux ses fondements sur lesquels a été construite son identité : la religion, la langue et les traditions culturelles. Cette identité se reflétait dans le style architectural sur lequel elle était bâtie. Cela lui a valu une identité architecturale distinctive qui répondait à tous les besoins matériels et spirituels de cette communauté, et cela est très évident dans l'architecture de (Oued M'zab, Tehert, Aures, Bashar, l'ancienne Kasbah, palais des castors ..) de ces quartiers et de nombreux autres ont connu des architectures et des styles urbains variés, ce qui s'est traduit par la maturité intellectuelle et culturelle de la société de l'époque, de sorte que la maison traduit l'identité culturelle de son habitant, comme ce fut le cas pour la ville également.

Le discours architectural algérien contemporain, n'est pas clair en termes de repères et de directions, il est généralement confus et déformé. Cela fait

également ressentir aux citadins un état de non-appartenance à cette architecture. Du fait de l'absence d'une identité architecturale et urbaine définie par des facteurs locaux reflétant l'identité de ses citadins, en particulier la jeunesse. Puisque l'identité architecturale est étroitement liée à l'identité du destinataire du discours architectural, lorsque le destinataire devient sans identité, l'architecture devient sans identité.

Les mots clés : l'identité - l'identité culturelle – l'identité architecturelle- la diversité culturelle.

مقدمة :

إن العمارة والعمران هما البيئة المادية التي تحيط بالإنسان، والتي تعكس بشكل كبير هويته وثقافته. والمجتمع الجزائري شهد عدة تغييرات ثقافية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية على مر الزمن ساهمت في تغير هويته العمرانية، والمعمارية من جيل إلى أخر، ومن منطقة إلى أخرى، حتى بالنسبة إلى نفس الجيل." فالهوية المعمارية يمكن رؤيتها كنتاج معماري لإبداعات فنية، يحاول المعماري والمخطط من خلالها صياغة علاقته بالمحيط والموارد المتاحة وذاكراته ببعده التاريخي والحضاري والبيئي"[1] . تعتبر الهوية المعمارية والنسيج العمراني من عوامل الجذب الرئيسية للمدن والتجمعات الحضرية.

أهمية البحث:

هناك العديد من المدن التي اكتسبت جاذبيتها من خلال تميزها بهوية معمارية واضحة وجذابة، وكثير من المدن الجزائرية القديمة تميزت بهذه الصفة، فعلي سبيل المثال لا الحصر قصبة تيجديت بمدينة مستغانم. ولكن إن نظرنا إلى واقع صور الكثير من المدن الجزائرية المعاصرة حاليا، نجدها مشوهة وغير منسجمة وبدأت تفقد هويتها المعمارية التي تميزت بها لفترات طويلة، وكل هذا كنتيجة لغياب هوية معمارية وعمرانية محددة بعوامل محلية، تعكس هوية سكانها خاصة فئة الشباب، أي أن صراع الهوية والصراع الثقافي الذي يعاني منه الشباب الجزائري ترجم في عمران ومعمار مدنه.

من خلال بحثنا سنتطرق إلى الاختلاف الذي طرأ على العمارة الجزائرية حديثا نتيجة للتحولات الثقافية، ومدى تأثير الهوية الثقافية على الهوية العمرانية والمعمارية للعمارة الجزائرية.

المشكلات البحثية:

نحاول من خلال البحث معالجة المشكلات البحثية التالية :

[1] أمين جلال ،العولمة و الهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الجديد، مجلة المستقبل العربي،1998 العدد 234 ،ص48.

– كيف انعكس التشتت الفكري للشباب الجزائري على تصاميم المساكن والوحدات السكنية.

–كيف أثر تداخل الأنشطة في الفراغات العمرانية على تغيير أولويات الفرد الجزائري.

– لماذا لم تستطيع الهوية بمقوماتها القديمة التعامل مع العولمة ومع المفاهيم والقيم الجديدة ، مما خلق نوع من التمرد على النموذج والتصميم القديم للبيت الجزائري.

أهداف البحث:

–محاولة بناء تصور واضح للمؤشرات (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية) التي من شانها تكوين قاعدة مشتركة تساعد المعماري الجزائري على خلق عمارة معاصرة، تحمل هوية محلية تنسجم مع البيئة والمجتمع الجزائري الذي وجدت من أجله ولخدمته.

منهج البحث:

اعتمدنا في بحثنا على المنهج التحليلي، وبالمقارنة بين القيم الثقافية والدينية التي كانت تحكم المجتمع الجزائري قديما، والتي كونت هويته الثقافية التي بدورها أثرت على النمط المعماري والعمراني للعمارة الجزائرية. والقيم التي دخلت على هذا المجتمع في الوقت الراهن وأثرت على الهوية الثقافية لشبابه فغيرت العديد من الأولويات، مع شرح مفاهيم من علم الاجتماع والهندسة المعمارية.

1-الهوية الثقافية للمجتمع من خلال المعمار والعمران قديما:

إن قراءة الماضي من خلال المعالم المادية المعمارية الشاخصة له من الأهمية بمكان لمعرفة ملامح الهوية الثقافية للمجتمع، التي يندرج تحتها الكثير من القيم والعادات والسلوكيات التي تحكمت في المعماري وجعلته يأخذها بعين الاعتبار في تصاميمه، وهذا ما نتج هوية معمارية وعمرانية مميزة لكل أمة.

1.1. تعريف الهوية الثقافية:

"إنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات، والتصورات، والقيم، والرموز، والتعبيرات والإبداعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة. أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية، وقابليتها للتواصل والآخذ والعطاء. وبمعنى أخر هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة الى الكون، والحياة، والموت، والإنسان، ومهامه، وقدراته، وحدوده، وما ينبغي أن يأمل".[2] فالهوية الثقافية تشمل جوانب كثيرة وعديدة تحكم المجتمع وتسيره، كما أنها تميزه عن غيره من المجتمعات والأمم، منها التعابير الفنية وأشكالها التي تنتج

[2] الجابري محمد عابد، العولمة و الهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي،1998 ، العدد 228 ، ص 14.

أيضا عن قيم، وتصورات، تشبعت بها الأمة تنطوي تحتها قيم دينية واجتماعية وثقافية وتاريخية ...وغيرها.

"إن الهوية معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات، وأنماط سلوك، وقيم، ونظرة إلى الكون والحياة".[3] إن الهوية الثقافية ترتبط أيضا بالمعتقدات خاصة حول الموت والحياة. فمثلا لكل أمة عادات ومراسيم معينة للمولود الجديد، تختلف عن عادات أمة أخرى، وحتى مراسيم الدفن تختلف من مجتمع الى أخر حسب الدين، والثقافة. فكل هذا الاختلاف في المعتقدات نتيجة للاختلاف الثقافي.

كما أنها أي الهوية الثقافية الثابت أو العامل المشترك الذي يجمع مجموعة من الأفراد، والأشخاص لتشكيل أمة معينة، تتمتع بالشخصية الوطنية، أو القومية التي تميزها عن أوطان أخرى وقوميات أخرى.

1.2. محددات الهوية الثقافية الجزائرية:

"المجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي، أمازيغي، متوسطي، إفريقي عالمي يجمع بين المعربين والمفرنسين ، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والتارقية، غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي، فإنها تحيى داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام والأصل الأمازيغي ".[4]

إن محددات الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري، هي الثوابت التي تجمع هذا المجتمع، وتوحده وتزيد من تمسكه، وارتباطه ببعضه البعض. ولقد تبلورت هذه الثوابت بفضل عدة عوامل تاريخية ومحلية وحتى عالمية، **وتتمثل في ثلاثة محددات او ثوابت وهي:** الدين الإسلامي. اللغة العربية. الأصل الأمازيغي.

فالمجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، والدين الإسلامي دين الدولة، والأغلبية لعدة عصور، أي منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي الكبير. كما أن هذا المجتمع ينتمي إلى الوطن العربي، والعربية اللغة الرسمية الأولى في البلاد. ولكن هذا لا يمنع أن أصله أمازيغي، وبقي محافظا على هذا الأصل رغم كل التغيرات الثقافية التي شهدها، حيث نلاحظ العديد من العادات والمعتقدات الأمازيغية المنتشرة في المجتمع وعبر كل أنحاء الوطن. وحتى اللهجة الجزائرية فيها العديد من الكلمات الأمازيغية

---

[3] أمين جلال، مرجع سابق، ص 61.

[4] رحيمة شرقي، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،الجزائر، العدد11،2013،ص194.

التي ينطق بها الجزائريين العرب، وهذا يبين مدى تأصل الأمازيغية في الجزائر والتي تعتبر من ثوابت الهوية الوطنية والثقافية.

1.3.الهوية المعمارية:

"ترتبط فكرة الهوية المعمارية ارتباطا مباشرا بفكرة التعبير المعماري، والمقصود بالتعبير المعماري، هو ما يتركه المبني من أحاسيس لدي الإنسان، وصور ذهنية عالقة في الذاكرة. أي أن الهوية المعمارية للمدينة، يمكن قراءتها من خلال الملامح المعمارية المعبرة عن المدينة. ويقصد بالملامح المعمارية أيضا كل المظاهر البصرية، والعناصر التي تكون أو تدخل في تكوين النسيج المعماري للمدينة، أو العمل المعماري. والعناصر التي تدخل في تكوين العمل المعماري وبالتالي التعبير المعماري." [5]

إن الهوية المعمارية تتجلى جيدا في المساكن، والمباني وفي المدن فنمطها المعماري يرتبط بظروف المكان (الطبيعة) والظروف الثقافية، أي الهوية الثقافية، ويرتبط أيضا بالمواد المتاحة والوضع الاقتصادي. فيكون الناتج عملا فنيا مبدعا يتماشى والاحتياجات الطبيعية، والاجتماعية، والثقافية للإنسان وهذا ما يشكل لنا هوية معمارية أصيلة تشمل: الشكل العام للمبنى أو المدينة. المواد المستعملة في التشييد. تقنيات البناء والتنفيذ. العناصر الزخرفية. التقسيم الداخلي للفراغات. البيئة المحيطة.

فالصورة الذهنية المتكونة من هذه الملامح، هي نتاج تفاعل بين الشكل والمعني على مقياس المدينة. وتتشكل هذه الصورة الذهنية عن طريق الهوية البصرية، أي الإكتشاف البصري للمكان إضافة إلى هوية معتمدة على أحداث المكان إلي النشاطات التي تمارس في هذا المكان.

بيّن كفن لينش "خمسة أسس لوضوح الصورة الذهنية للمدينة، وبالتالي تميزها وإبراز هويتها، هذه العناصر تتمثل في الحدود، والمسالك (الطرق و الشوارع) ، والأحياء، والميادين، والمعالم."[6] بالنسبة للمباني المكونة للأحياء، ونمطها العمراني يمكن إبراز ثلاثة عناصر إضافية مهمة تساعد في توضيح فكرة هويتها ومرتبطة بالتعبير المعماري: -الغرض المنشأ من أجله المبنى. -تأثير المبنى على الإنسان . -معاني ومدلولات القيم الجمالية.

---

[5] جمال الهمالي اللافي، حول النمط المعماري والهوية المعماري،ة مدونة الميراث 2010/08/10

http://mirathlibya.blogspot.com/2010/08/blog-post.html تاريخ الاطلاع 2018/03/14.

[6] kiven lynch, the image of the city, cambridge, England, 1960, p12.

ويرتبط الغرض المنشأ من أجله المبني بفكرة، نوع من المبني . كأن يكون مبنى سكني أو مدرسة. يجب أن يكون البيت كبيت، والمدرسة كمدرسة، لخدمة غرض محدد أو مجموعة أغراض للإنسان. وهذا ما يميز العمارة عن بقية الفنون حيث وجدت لخدمة وملائمة.

بما أن الهوية المعمارية علامة في لغة العمارة ترتبط بالمكان، فهي إذن مرتبطة بهوية المكان التي تشمل البعد المادي الذي يندرج تحته العوامل الطبيعية، البيئة المبنية والمنشأت الفراغات الداخلية ...والبعد الروحي، الذي يحوي عناصر مختلفة في هوية المكان منها، الرموز الثقافية والقيم الضمنية للمجتمع، ونسق الأنشطة والممارسات داخل الفراغات العمرانية والأحداث الاجتماعية للسكان.

"إن الأبحاث في مجال هوية المكان، تشير إلى أن الفرد لديه علاقات بالبيئة أكثر تعقيدا من مجرد العيش فيها."[7] العلاقة مع المكان ومعالمه الطبيعية، والثقافية، والمعمارية. هو أمر حاسم لهيكلة الهوية الإنسانية، لهذا لكل مكان ولكل مدينة بيئة ثقافية فريدة من نوعها، من المنشآت المعمارية المحددة.

3.مقارنة بين الهوية المعمارية للمدينة الجزائرية قديما وحديثا:

بما أن المدينة بشكل عام تعكس ثقافة، وهوية سكانها فقد كانت المدن العتيقة الجزائرية (بني مزاب، القصبة، تيهرت....) محافظة علي هويتها خلال فترة وجودها رغم تعاقب السنين والمحتلين عليها.

3.1. تغلب القيم المادية على مبدا الحرمة والخصوصية

إن المدينة قديما كانت مبنية على مبدأ الحرمة، أي احترام الخصوصية والفصل بين مكان العمل أو الوظيفة، والمسكن بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ومعاني. حيث أننا نلاحظ من خلال مخطط المدينة العتيقة أن الأحياء السكنية تكون بعيدة عن السوق، وساحة المدينة التي تمارس فيها النشاطات التجارية والثقافية، وحتى الأزقة والشوارع التي تؤدي إلى الأحياء السكنية ملاحظ أنها تضيق كلما كان الإتجاه الى المسكن، ويكون التدرج تام من شارع الى زقاق ثم درب ثم دار. والعكس فكلما إتجهنا الى السوق يلاحظ إتساع الطريق، أي المسار العكسي . وهذا التنظيم للفضاء الخارجي يعبر عن مدى احترام السكان للعائلة، ولمبدأ الخصوصية. فمكان العمل لا يكون ملتصق بالبيت، خاصة النشاط التجاري لتوفير أكبر حرية لقاطني البيوت، أي للمرأة والعائلة بشكل عام.

[7] خلود حسن عبد اللطيف، تأثير الهوية والثقافة على سلوك الفرد داخل الفراغات المعمارية، كلية الهندسة المعمارية، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، تحت اشراف الدكتور هشام سامح امين، مصر، 2014 ص 5.

الشكل 01 : تدرج تام في حي الطبانة العتيق بمستغانم.

المصدر : بن زادة سمة 2021/20/19.

"نتيجة لمبدأ الخصوصية (الحرمة) فقد كان هناك تنظيم محكم من الفضاء العمومي، المتمثل في المسجد، والسوق إلى الفضاء الخصوصي، عبر مسالك التي تنقسم بدورها إلى شوارع، وأزقة، ودروب، ويكون المرور عبر ثلاثة مراتب من الغريلة يكون التدرج. [8]"

على العكس مما هو ملاحظ الأن في المدن الجزائرية، حيث أن تغيير الأولويات وتغيير منظومة القيم التي كانت تعطي الأولوية للعائلة، وللحرمة تغيرت تماما، حتى في بعض المناطق التي كانت تعرف بأنها محافظة. فالقيم والعادات التي كانت بمثابة ثوابت لدى جيل سابق لم تعد كذلك بالنسبة لجيل الشباب، فمثلا بالنسبة للنشاطات التجارية التي كانت قديما بعيدة عن المسكن أصبحت الأن ملتصقة بالمسكن، وأكثر من ذلك المساكن التي تقع في الشوارع الرئيسية هي الأغلى من أجل الظفر بمحل تجاري. وهذا انعكس حتى على المجال التجاري حيث أصبح غير منظم وغير متجانس.

"يمتاز توزيع المحلات التجارية بالمدينة الجزائرية بطابع اللاتجانس المكاني، وتداخل الأنشطة التجارية فيما بينها، وهذا نتيجة مختلف التحولات الاجتماعية والاقتصادية المتعاقبة، مما يعكس تباين في قيم

[8] م. جلول زناتي م. عبدالرزاق زقار، عناصر الهوية العمرانية في وادي مزاب، مجلة أبحاث وتراث لملتقى التراث العمراني الوطني الثالث 2013 / 12 /12، تصدر عن الهيئة العامة للسياحة والاثار السعودية العدد3.ص.510.

الجذب التجاري لهذه القطاعات الحضرية."[9] إضافة إلى الإشارة إلى نقطة أخرى، وهي أن مبدأ الخصوصية، والحرمة كان طاغيا على كل مجالات الحياة العمرانية. فمثلا في مدننا العتيقة كان يمنع تجمع الرجال في الشوارع، وعلى أرصفة الطرقات ولم تكن هناك ما يعرف بالمقاهي. فالإسلام اعطى للطريق حقه والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التجمع في الطريق، على عكس ما هو سائد اليوم عند الشباب حيث يتجمهرون في شوارع الأحياء السكنية مقابل البيوت التي تقطنها عائلات، وهذا يعكس مرة أخرى الشتات والضياع الذي يعاني منه شبابنا، واختلال سلم القيم عندهم وتغير هويتهم الثقافية.

3.2.. تغلب القيم المادية على القيم الدينية

مكانة الدين في حياة السكان في المدن القديمة تختلف عن مكانته في حياة شباب اليوم. فمنظومة القيم الثقافية، ومنها الدينية اختلفت ولم تعد هي الأساس الذي تبنى عليه الحياة، وهذا واضح من خلال تخطيط المدينة الجزائرية المعاصرة التي إحتلت فيها الحياة المادية المركز. فمراكز مدننا كلها ذات طابع اقتصادي، حيث التنافس بين المدن من أجل جلب أكبر عدد من السياح، ورؤوس الأموال، جعل مركزها اقتصادي، وتجاري، مادي لا علاقة له بالجانب الروحي. وهذا كنتيجة حتمية لتغيير الاولويات عند السكان خاصة الشباب أين إحتلت المادة مركز حياة الكثيرين، فلم يعد المسجد الذي يعتبر أساس الحياة الروحية يمثل مركز تفكير الشباب بل لا يعدوا أن يكون مكان لأداء العبادة فقط، وهذا نتيجة أخرى لتراجع دور المسجد وفقدانه لدور الاستقطاب لما يحيط به.

الشكل02 : مخطط قصر غرداية.

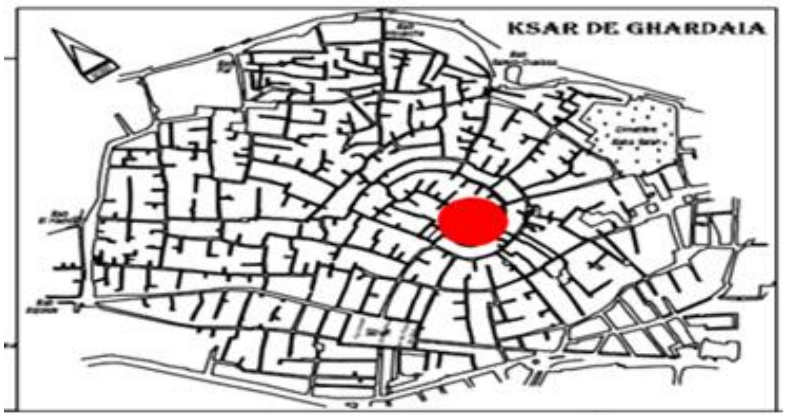

[9] فؤاد بن غضبان، أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، دامعة ورقلة، 2016.

المصدر : محمد بلقاسم، بحث مساجد مزاب، ص 4.

أما في المدن الجزائرية العتيقة الإسلامية (غرداية مثلا) ، إحتل المسجد المركز وهذا ترجمة لمنظومة الفكر الإسلامي ككل، حيث يحتل الدين المركز في حياة المسلمين. وجسد هذا الفكر من خلال تخطيط المدن، أين يكون المسجد هو اللب الذي تتأسس عليه حياة السكان، فهو القلب النابض لكل النشاطات الحضرية، واليومية للسكان. وكان بالقرب منه ساحة كبيرة تعتبر مكان عام يحق للجميع الاجتماع فيه وممارسة حياتهم الاقتصادية وتستغل في المناسبات الكبرى.

للمسجد مكانة عظيمة في الإسلام، ويعتبر من أهم العناصر العمرانية بالمدينة الإسلامية. وإن وظيفته في تلك المدن وفي مدننا اليوم تختلف، فالمسجد لم يكن دار عبادة فقط بل مركزا للإشعاع الثقافي. وحتى تخطيط المدينة الإسلامية في الجزائر، وفي غيره من البلاد الإسلامية احترم كثيرا خصوصية الدين الإسلامي، ومكانته في الهوية، والثقافة لكل مسلم، فكان التخطيط مبني على استقبال القبلة .

" رعى المخطط أن تكون الشوارع موازية، أو عمودية على القبلة، وبالتالي عند إنشاء المباني وخصوصا المسجد يكون البنيان متجها جهة القبلة"[10]. التوجه للقبلة من أهم الثوابت التصميمية بعمارة المسجد. فجدار القبلة هو أهم عنصر معماري في المسجد، وبما أن التدين كانت نسبته أعلى عند أفراد المجتمع آنذاك على ما هو عليه الآن، فحتى المباني العامة والسكنية كانت يتم توجيهها جهة القبلة. وهو ما يساعد على أداء الصلوات داخلها بسهولة، لأن الغاية من إعمار الأرض، وإقامة المجتمعات العمرانية والمدن، هو عبادة الله سبحانه تعالى حيث كانت قيمة الدين أعلى من كل قيم أخرى. وهذا من مميزات المدينة الإسلامية.

أما مدننا المعاصرة التي تغيرت فيها الهوية الثقافية للسكان، وطغت قيم أخرى على القيم الدينية والإسلامية، فان التخطيط على أساس توجيه المباني جهة القبلة لم يعد موجودا، حتى هناك بعض المساجد التي لم تبنى أصلا على هذا الأساس، رغم أن وظيفتها الأساسية الصلاة، وأساس الصلاة استقبال القبلة.

[10] محمد عبدالله اسماعيل الشيخ، المعايير التخطيطية للمدينة بين الأصالة والمعاصر،ة أطروحة ماجستير تحت إشراف مصطفى كامل عبد الرحمن الفرا، الجامعة الإسلامية قسم الهندسة المعمارية، غزة فلسطين، 2015، ص46.

إن تجاهل أمر تحديد اتجاه القبلة في تخطيط مدننا المعاصرة راجع الى اختلال منظومة القيم، فالأمور التي كانت تمثل اتفاق الجميع لم تعد تعني الأغلبية، لذلك حلت محلها أمور أخرى مادية أكثر منها روحية.

4. أثر تغير الهوية الثقافية على تصميم المسكن الجزائري:

إن أزمة الهوية التي يعاني منها شبابنا خاصة الهوية الثقافية التي تأثرت كثيرا بالعولمة، وبعوامل اقتصادية انعكست على الهوية المعمارية للبيت الجزائري. فبعض المسلمات المعمارية التي كانت اساس البيت الجزائري قديما، لم تعد موجودة في التصاميم المعاصرة للوحدات السكنية سواء المصممة من قبل الحكومة والتي ربما تعكس إتجاه معين، أو عند تصاميم الخواص، والكل تأثر بالحداثة والعولمة على حساب الثقافة المحلية مما أدى إلى انعدام التميز في العمارة الجزائرية، وجعلها دون هوية واضحة، ويظهر هذا من خلال :

-انعدام السقيفة التي كان لها تعبيرا في التصميم المسكن التقليدي، وعكست هويته كما حافظت على مبدأ الحرمة والخصوصية. فلقد كانت تفصل بين الفضاء العام (الشارع) ، والفضاء الخاص (وسط الدار) ، اي تفصل بين مرجعية العائلة ومرجعية الشارع.

فوجودها أضفى إلى وسط الدار قدسية، حيث لا يمكن الولوج إليه بسهولة، إلا بالمرور عليها فهي تحجب رؤية ما في المسكن من الخارج، ولكنها تكون مراقبة من الداخل بواسطة فتحة تربطها بوسط الدار، كما لها وظيفة عازل صوتي بين الداخل والخارج، وبنائها واجب حيث أنها مفروضة في العرف المحلي للعمران.

"إذا كانت ثمّة حاجة إلى كشف وسط الدار، فينبغي أن يحصل ذلك بعد جهد جسدي ونفسي يعطي معنى مقدّسا للستر الّذي سيهتك، بحيث يتطابق دخول الدار مع دخول أي معبد أو مزار مقدس، طالما أنّ مفهوم الحرام حاضر في الحالتين حضورا يدعو إلى التعامل طقوسيا معهما بمشاعر الخشية والاحترام مع ما يقتضي ذلك من الامتناع عن التعدّي على حرمتهما".[11]

الشكل03 : تصميم لمسكن قديم) مسكن القايد (حي الطبانة مستغانم.

[11] عماد صولة، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، مجلة إنسانيات، العدد 28، تاريخ 2005. https://insaniyat.revues.org/5227

المصدر : بن زادة سمة 2021/02/20.

– غياب فضاء وسط الدار في التصميمات المعاصرة للمسكن الجزائري بينما كان هو الفضاء الرئيسي في المسكن. حيث يعتبر القلب والمركز الذي يهيكل باقي الفضاءات بحيث يكون ملك لجميع العائلة دون تفريق ففيه، يتم إلغاء الفصل على أساس الجنس أو السن حيث معظم أعمال النساء (الغسيل الحياكة ...) مكان اللعب للأطفال ومكان الإحتفالات في المناسبات.

الشكل04 : حي الطبانة القديم بمدينة مستغانم

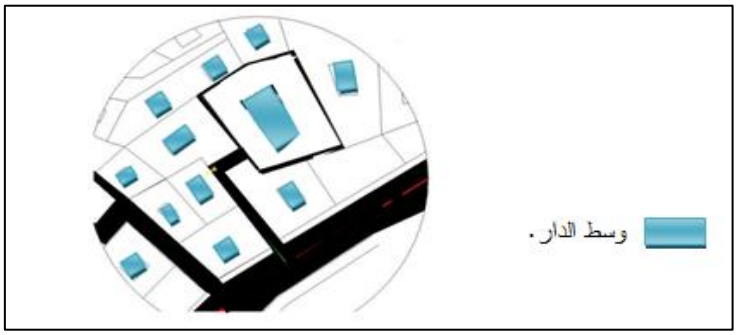

المصدر : بن زادة سمية 2021/02/20

إن القيم التي كانت تحكم المجتمع الجزائري فيما سبق ترجمت في معماره، وأكسبته هوية خاصة به مميزة عن غيره. وبما أن القيم تغيرت فقد تجلى هذا أيضا في تصاميم البيت الجزائري المعاصر، حيث حل محل السقيفة المدخل وفي بعض الأحيان يكون المطبخ مفتوح على المدخل وقاعة الاستقبال، وهذا ما كان محرما في العمارة القديمة ولا يضفي أي خصوصية على المطبخ. الذي يعتبر فضاء خاص بالمرأة

ولا يمكن للغريب أن يلمحه لكن تأثر المجتمع بقيم ثقافية غربية ، أثر على ثقافته وبالتالي على تصاميم المساكن التي يعيش بها.

الخاتمة :

إن الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري بشكل عام ولشباب بشكل خاص تأثرت كثيرا بالعولمة، والقيم الغربية. التي تختلف عن بعض القيم المحلية التي كانت تتحكم في المجتمع، وعاداته، ومعتقداته. وأثرت كثيرا على هوية معماره، والنمط المتبع في تخطيط المدن وتصميم المساكن فقد كانت العمارة الجزائرية جد مميزة ومختلفة عن غيرها . ونتيجة الأزمات الثقافية والحضارية، وتراجع العديد من القيم، فقد تراجعت العمارة الجزائرية في وقتنا المعاصر عن المكانة التي كانت احتلتها، وأصبحت تعاني من عدم الوضوح وعدم الانسجام مع حاجيات المجتمع الروحية والمادية.

حتى لا نقول أن هناك خطاب معماري بلا هوية، و إن كان هذا مجازي أكثر منه حقيقي لكن هناك نقد كبير للناتج المعماري الجزائري المعاصر لأنه ببساطة لم يخلق بشكل طبيعي، أي من رحم عملية تصميم تتبع من فهم واع وشامل للأسس التي ينبغي أن تستند عليها العمارة) ثقافية، اقتصادية، اجتماعية، دينية، تكنولوجية،...

إن الفوضى والتخبط الذي تعيشه العمارة الجزائرية الآن، يعكس التشتت الفكري، والتعقيد الذي يعيش فيه المجتمع. كما أن العولمة وظهور مفاهيم وقيم جديدة لا تستطيع الهوية بمقومتها القديمة التعامل معها، مما خلق نوع من التمرد على العمارة الجزائرية التقليدية. بالإضافة إلى عدم وجود تصور واضح للمؤشرات التي من شانها تكوين قاعدة مشتركة، تساعد المعماري الجزائري على خلق عمارة معاصرة، تحمل هوية محلية تنسجم مع البيئة والمجتمع الجزائري الذي وجدت من أجله ولخدمته.

وأخيرا لكي يكون للخطاب المعماري الجزائري المعاصر هوية وعلامة مميزة، يجب أن يمر بعملية تصميم واعية ضمن اطر الثقافة، والإبداع، والمحافظة على رموز، ودلالات حية من عادات وتقاليد وسلوكيات مجتمعية، واطر ناظمة، تقود وبشكل واع الإفراز العمراني.

قائمة المراجع:

1- أمين جلال ،العولمة و الهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الجديد، مجلة المستقبل العربي،1998 العدد 234 .
2- الجابري محمد عابد، العولمة و الهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي،1998 ، العدد 228 . 3- جمال الهمالي اللافي، حول النمط المعماري والهوية المعماري،ة مدونة الميراث 2010/08/10.
http://mirathlibya.blogspot.com/2010/08/blog-post.html تاريخ الاطلاع 2018/03/14.

4- خلود حسن عبد اللطيف، تأثير الهوية والثقافة على سلوك الفرد داخل الفراغات المعمارية، كلية الهندسة المعمارية، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، تحت اشراف الدكتور هشام سامح امين، مصر، 2014 .

5- رحيمة شرقي، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،الجزائر، العدد11،2013.

6- عماد صولة، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، مجلة إنسانيات، العدد 28، تاريخ 2005. https://insaniyat.revues.org/5227

7-فؤاد بن غضبان، أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، دامعة ورقلة، 2016.
https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-22-ssh/2776-2016-01-25-12-33-40

8- محمد عبدالله اسماعيل الشيخ، المعايير التخطيطية للمدينة بين الاصالة والمعاصر،ة اطروحة ماجستير تحت اشراف مصطفى كامل عبد الرحمن الفرا، الجامعة الاسلامية قسم الهندسة المعمارية، غزة فلسطين، 2015.

9- kiven lynch, the image of the city, cambridge, England, 1960.